العلاقة مع الله

العقد مع الله:

لو أنك، عزيزي القارىء، قد وقعت عقداً مع أحد الأشخاص المرموقين، من ذوي الشأن فإنك ستكون متأكداً أن بنود هذا العقد سيتم تنفيذها بالكامل.

إن كل عقد يلزم الطرفين فإن أنجز أحد الطرفين الواجبات التي يفرضها عليه العقد استحق أن ينفذ له الطرف الآخر الواجبات المطلوبة التي قام بواجباته لاستحقاقها.

إن الله سبحانه وتعالى قد وعد عباده، ووعد الله حق وعقد ثابت لا يتغير، فهل تظن أن الله سبحانه وتعالى لن يفي بوعده؟ حاشا لله.

وعقد الإنسان مع الله سبحانه وتعالى مذكور في سورة الفاتحة فتعالوا نقرأ معاً بنود هذا العقد.

بنود العقد:

المفروض أن العبد ليس له اختيار فهو ملزم بطاعة سيده، يفعل ما يؤمر، ولو شاء الله لجعلنا لا اختيار لنا، لكنه جل وعلا جعل في سورة الفاتحة عقداً بينه وبين عباده.

obeikandl.com

قال تعالى في سورة الفاتحة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1]، أي أن البدء بكل أمر يجب أن يسبقه ذكر الله، وهو ما يسميه أهل القانون ومعدو العقود المقدمة التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من العقد.

أما المادة الأولى فهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] وهي إقرار بالربوبية لله تعالى فهو رب الجن والإنس والخلق أجمعين مما نرى أو لا نرى، مما نعرف أو لا نعرف فالعالمين تشمل كل مخلوق في هذا الكون.

والمادة الثانية هي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: 3]، وهي إقرار بصفة الرحمة لله عز وجل في الدنيا والآخرة، فالعبد إن أقر بالربوبية لله تعالى استحق رحمة الرحمن الرحيم.

والمادة الثالثة قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4] وهي إثبات يوم الحساب، وأن المالك فيه والملك هو الله سبحانه وتعالى، فإن كان العبد قد أحسن استحق جزاء إحسانه، وإن أساء استحق جزاء إساءته، فللمحسن جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وللمسيء نار وقودها النار والحجارة أعدت للكافرين.

المادة الرابعة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]، وفي هذه المادة يلتزم العبد

بطاعة الله وعبادته والانصياع لأوامره فيـــتحق بذلك العون من الله تعالى عندما يطلب هذا العون.

روى الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي ﷺ (أي راكباً خلفه على ناقته) وليس بيني وبينه غير مؤخرة الرَّحل (فهو غير ملاصق للرسول ﷺ فقد جعل مؤخرة الرحل بينهما والرحل هو ما يجعل على الناقة ليجلس الراكب فوقه) فقال رسول الله ﷺ: «يا معاذ».

فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فمكث ساعة (أي لفترة قصيرة) ثم قال: «يا معاذ».

فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركون به شيئاً ثم سكت ساعة، ثم قال: «يا معاذ».

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: «أتدري ما حق العباد على الله إن فعلوا ذلك؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حق العباد على الله إن فعلوا ذلك ألاَّ يعذبهم».

والمراد بقوله حق العباد على الله إن فعلوا أن العباد يـــتحقون بذلك رحمة الله في الآخرة ورحمة الله للعبد في الآخرة

هي إبعاد العذاب عنه، وإبعاده عن النار، وبالتالي إدخاله الجنة، وهو سبحانه وتعالى يعطي في الدنيا ما يشاء لمن يشاء وقد فتح باب التوبة لعباده وهذه من نعمه الكبرى التي لا يعرف حلاوتها إلا من ذاقها.

بك أستجير ومن يجير سواك
فأجر ضعيفاً يحتمي بحماك
أذنبت يا رب وآذتني ذنوب
ما لها من غافر إلاك
إني ضعيف أستعين على قوى
ذنبي ومعصيتي ببعض قواك
يا منبت الأزهار عطارة الشذا
هذا الشذا الفواح نفح شذاك
يا مجري الأنهار ما جريانها
إلا انفعال قطرة لندك
يا مدرك الأبصار والأبصار
لا تدري له ولكنهه إدراك
أَتَراك عين والعيون لها مدى
ما جاوزته ولا مدى لمداك
إن لم تكن عيني تراك فإنني
في كل شيء أستبين علاك

ومن استغفر لذنبه تائباً توبة نصوحاً مزمعاً ألا يعود لارتكاب هذا الذنب من جديد فإن الله سبحانه وتعالى يغفر له ذنبه ويشهد ملائكته على هذه المغفرة، كما جاء في الحديث القدسي: «**أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له**».

فهل من عطاء أعظم من ذلك؟

خبر عبد الله بن المبارك رضي الله عنه:

كان عبد الله بن المبارك قد حضر إلى مكة حاجاً، فوقف يوم عرفة مع الواقفين يستغفر الله عز وجل ويبكي ويدعو، فتعب ونعس فنام، فرأى في نومه اثنين من الملائكة يكلم أحدهما الآخر.

قال الأول: كم عدد الحجيج هذا العام؟

قال الثاني: ستون ألفاً.

قال الأول: وكم عدد الذين قَبِل الله منهم وغفر لهم؟

قال الثاني: ستة.

استيقظ عبد الله ﷻ من غفوته باكياً، وجلس يدعو ويستغفر ويبكي ويقول لنفسه: هل سأكون أحد هؤلاء الستة، ومن أنا لأكون أحدهم، ثم يتابع دعاءه واستغفاره وبكاءه حتى غلبه النعاس فرأى الملاكين يتابعان حديثهما:

قال الأول: وماذا فعل الله بباقي الحجيج؟

قال الثاني: أكرمهم وغفر لهم وقبل منهم إكراماً لهؤلاء الستة.

البند الخامس:

قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 6 – 7] فإن عبد الإنسان الله ولم يشرك به شيئاً، واستعان به وحده وطلب منه الهداية، هداه الله وأحسن جائزته، والمغضوب عليه هو الذي يرى الحق ويعرفه ومع ذلك ينصرف عنه عناداً وهؤلاء هم اليهود، أما الضال فهو الذي يزيغ عن طريق الحق ويتمسك بالعقائد الضالة ويظن أنه على الحق.

قال تعالى في الحديث القدسي: «إذا هم عبدي بالحسنة فلم يعملها» (أي منعه مانع ما من عمل الحسنة) «فاكتبوها له حسنة» فمجرد النية لعمل الخير والإحسان ننال به الثواب إن كانت نيتنا صادقة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات؛ فهل رحمة أعظم من هذه الرحمة؟ ومغفرة أوسع من هذه المغفرة؟ إنها رحمة الرحمن الرحيم، ومغفرة الغفور الشكور.

ثواب ألف شهر:

حكى رسول الله ﷺ للصحابة خبر رجل ممن كان قبلهم ركب فرسه ألف شهر يقاتل في سبيل الله.

فقال الصحابة: لو كانت أعمارنا، أي لو عشنا، ألف شهر لقاتلنا ألف شهر في سبيل الله، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: 1 - 3]؛ فانظر إلى جود الله وكرمه على هذه الأمة. أجر كبير على عمل يسير، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا الله ولو بشقِّ تمرة»** «إن ربكم ليربي لأحدكم صدقته كما يربي أحدكم فلوه» والفلو هو صغير الخيل يربيه الإنسان حتى يصير فرساً كبيراً، والله سبحانه وتعالى يربي الحسنة للإنسان حتى تصير كالجبل.

أنت قد تصدقت بما تطيق، وبما تقدر عليه، ولعله تمرة أو شق تمرة أي نصفها، وهذه حسنة لكنك تجدها يوم القيامة وقد نمَّاها الله لك حتى صار ثوابها كالجبل العظيم ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: 276]. ولتقريب صورة هذا الإنماء للصدقات للناس قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ تصوَّر عزيزي القارىء حجم حبة القمح لتدرك عظيم الثواب فهذه الحبة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ وليست سنابل صغيرة أو قليلة الحب بل ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ انظر إلى المدى الذي بلغه الثواب وليس هذا فحسب ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فهناك مضاعفة أخرى فوق السبعمائة لمن أخلص عمله لله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] يعلم من أدى الحسنات قربة

واستجابة لأمر الله ومن أداها ليقال إنه كريم ولترتفع مكانته بين الناس.

لو وضعت مالك في مصرف أو مشروع مالي أو استثماري أو أي عمل آخر فإن أقصى حد من الربح هو أن يكون هذا الربح مائة بالمائة أي الحبة بحبة لكن في حديقة رحمة الله تعالى وفي ساح كرمه العظيم وبركته التي لا تدانى الحبة بسبعمائة حبة ثم مضاعفتها بعد ذلك أيضاً حتى تصير كالجبل العظيم.

أنواع الحسنات:

إن الرسول ﷺ كان يعلم أن بعضنا يملك المال ليتصدق به والبعض الآخر لا يكاد يعيل نفسه وعياله، ولذلك علمنا أبواباً كثيرة لاكتساب الحسنات، لذلك نجد أن: تبسُّمَك في وجه أخيك صدقة.

مواساتك لأخيك المسلم في مصابه صدقة.

مصافحتك لأخيك وترحيبك به صدقة.

وحتى سلامك عليه صدقة، فإن سلَّم عليك بقوله: السلام عليكم، فأجبته: وعليكم السلام كتبت لك عشر حسنات، فإن قلت: وعليكم السلام ورحمة الله كتبت لك عشرون حسنة، فإن قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته كتبت لك ثلاثون حسنة؛ فهل تريد أكثر من ذلك؟

نعم هناك أكثر من ذلك.

نظرك إلى الوالدين عبادة.

طاعتك للوالدين فرج ورحمة.

التسبيح مغفرة.

الصبر ضياء.

الوضوء نور.

نظرك إلى المصحف عبادة.

قراءة الحرف من القرآن بعشر حسنات، لا أقول «الم» حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف؛ فإن قلت «بسم الله الرحمن الرحيم» وهي تسعة عشر حرفاً نلت بها مائة وتسعون حسنة ورفع عنك مائة وتسعون سيئة وكتبت عند الله من الذاكرين.

فعلك للخير صدقة.

صمتك عن المشاركة في أحاديث الباطل صدقة.

رفضك للمنكر صدقة.

قولك للحق صدقة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

بل حتى إتيانك لزوجتك صدقة، وعندما ذكر ذلك رسول الله ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم: قالوا: «أيأتي أحدنا شهوته وله فيها صدقة؟».

قال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو وضعها في الحرام، ألم تكن عليه سيئة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «كذلك لو وضعها في الحلال كان له فيها صدقة».

فرصة الربح والكسب العظيم:

إن هذه الحياة الدنيا التي نحياها هي فرصتنا، بل فرصتنا الوحيدة، فرصتنا الأولى والأخيرة لكسب الحسنات ورفع الدرجات ونيل الجنات فلم نضيعها فيما لا طائل تحته.

مرَّ رجل خلال سفره بمقبرة، فنزل قربها ليرتاح.

رأى القبور حوله فتأسف لما آلت إليه أحوالهم بعد أن كانوا ملء الدنيا وسمعها.

أين القصور التي عمروها.

أين المناصب التي تقلدوها.

أين الأموال التي امتلكوها.

كلها تركتهم ومضت، وبقوا وحدهم في بيت الظلمة، قبر لا يعرف حالهم فيه أحد؛ فقال: لا إله إلا الله، وحده الدائم الباقي، ثم قعد يذكر الله فغلبه النعاس ونام؛ فرأى الموتى في منامه وقد جاؤوه والتفوا حوله، وقالوا له: كيف تنام يا ابن آدم؟

والله لقد دعونا الله أن نشتري ساعة من عمرك بملء الأرض ذهباً حتى نعود إلى الدنيا فنذكر الله ونستغفر لذنوبنا.

كيف ينام من يهرب من النار والموت خلفه يلاحقه كيف يغفل والقضاء طالبه.

ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها، كيف تغفو يا ابن آدم عن إعداد العدة للرحلة والسفر طويل والأمد للاستعداد محدود وقصير.

إن الجنة لتتحسر على كل ساعة تمر على ابن آدم لا يذكر فيها ربه ولا يستغفر لذنبه.

حاسب نفسك، هل هذه الساعة التي مضت لك أم عليك؟ هل كسبت فيها أجراً وثواباً أم ضيعتها؟

إنها لن ترجع أبداً إلى قيام الساعة فكن على حذر، سوق الربح قائم، وسوق الخسران سهل يسير وأنت بالخيار، فاختر لنفسك قبل أن يأتي وقت لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أنواع الهداية:

كلما تلونا سورة الفاتحة ذكرنا قول الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]؛ وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لهداية البشر، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ونحن نطلب الهداية من الله تعالى إنما نطلب منه أن يرشدنا إلى خير السبل التي ننال بها رضاه ونبتعد بها عن سخطه.

والهداية أربعة أنواع:

النوع الأول: الهداية الجبليَّة الفطرية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

النوع الثاني: الهداية الإرشادية، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء وأوصى إليهم أن يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الصمد ويتركوا عبادة الأحجار والأصنام وأن يتوبوا من الشرك الذي وقعوا فيه أو أوقعهم فيه كبراؤهم، ولن يستطيع الناس أن ينكروا هذه الهداية من الله لهم، فعندما يسألهم خزنة جهنم ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: 50].

النوع الثالث: الهداية التوفيقية: قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: 17]، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يهدينا للإيمان بما جاءت به رسلنا من عند الله، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: 178]؛ وقال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: 17]، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام فيما ذكره الله سبحانه وتعالى عنه ﴿لَئِن

لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: 77]؛ وقال تعالى: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142] وقال أيضاً ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213] ولذلك ندعو دوماً في صلاتنا ذاكرين قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾.

النوع الرابع: الهداية الأخروية، وهي هداية الله لعباده في الآخرة إلى طريق المغفرة والرحمة ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: 5].

ولذلك فإذا حفظ العبد الهداية الفطرية فلم يشرك بالله بل نظر في الكون حوله فعرف أن لهذا الكون خالقاً وأن كل ما عداه مخلوق، هداه الله بالهداية الإرشادية فسمع دعوة الأنبياء والرسل، فإذا كان قلبه مستعداً لتلقي الهداية، هداه الله بالهداية التوفيقية فاتبع المرسلين والأنبياء فكان من الناجين من عذاب نار وقودها الناس والحجارة، فهداه في الآخرة وجعل الجنة له مقاماً ومستقراً.

ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى أهل الكهف فقال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ وعندما خافوا أن يفتنهم قومهم، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا

شَطَطًا ﴿١٤﴾ [الكهف: 13، 14] والرباط على القلب هو أن لا يتغير بترهيب أو ترغيب من الناس، وأن يثبت العبد على طريق الطاعة فلا يضل بعد ذلك، والطريق المستقيم عزيزي القارىء، مكمنه فيك، ومقرُّه في قلبك فإن سلكت طريق الاستغفار فأنت على الصراط المستقيم، لكن الطريق طويل والمحطات فيه كثيرة والمغريات للسقوط حوله كثيرة أيضاً.

بر الوالدين محطة فإن توقفت فيها وتزودت بزاد للآخرة أمكنك المتابعة أما إن قلت: أرضي زوجتي الآن وغداً أذهب إلى أمي وأسترضيها فهل تضمن أن تبقى أنت أو أمك حتى الغد لتسترضيها؟ فإن أخَّرت ذلك إلى الغد ثم انشغلت بأمر آخر وآخر فنسيت ثم تكررت الحكاية المرة بعد المرة فقد خسرت زاد هذه المحطة من محطات الخير.

الزكاة محطة لكنك تؤجل وتقول: أستعمل هذا المال الآن في تجارتي حتى أحقق الربح المؤمل ثم أؤدي الزكاة لاحقاً، لكن كل صفقة تليها صفقة، وكل أمل يؤدي إلى آمال فتترك أداء الزكاة أو تكتفي ببعض الصدقات، وتقول: قد فعلت ما قدرت عليه وأولادي أحق بهذا المال من غيرهم، فتطعمهم مما ليس لك لأن مال الزكاة لم يعد من حقك عندما استحق أداؤه، وتخسر هذه المحطة فلا تتزود منها، وتدفع أولادك لخسارتها أيضاً.

الصيام محطة لكنك تفضل تناول ما لذ وطاب على

الصيام. وهكذا تنتقل من محطة لأخرى دون أن تتزود بزاد للآخرة فتصل لساعة الحساب وليس في جعبتك شيء إلا الأمل الكاذب بغدٍ تفعل فيه ما قصرت عنه في حياتك كلها ولات ساعة مندم، فإذا بكم قد أفضيتم إلى ما قدمتم وصرتم من أهل القبور.

وعندما مرَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه مع أصحابه بإحدى المقابر، وقف وقال: السلام عليكم يا أهل المقابر، سأقص عليكم نبأ ما عندنا وتقصون علي نبأ ما عندكم، أمَّا نبأ ما عندنا فإن النساء قد زُوِّجت وإن الديار قد سُكِنت، وإن الأموال قد قُسِّمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟

قال له أصحابه: يا ابن أبي طالب أتكلّمُ الموتى؟

قال: والله إنهم يسمعونني كما تسمعوني ولو أذن لهم أن يتكلموا لقالوا ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197].

الملائكة الطوافون:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن لله ملائكة طوافين، يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوهم حفوهم بأجنحتهم وكتبوا أسماءهم لديهم وهذه نعمة من الله عز وجل، فمجالس الذكر ومجالس العلم مجالس يحبها الله ويغفر لأصحابها، أما مجالس المعاصي والرقص والمفاسد فقد أنذر الله

أصحابها فقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: 12، 13].

فإذا انتهى فوج من الملائكة الطوافين من جولتهم، قال الله لملائكته: «كيف وجدتم عبادي، قالوا: تركناهم يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك. فيقول الله لملائكته: ماذا يطلبون؟ فيقول الملائكة: إنهم يطلبون جنتك».

يقول تعالى: وهل رأوها؟

تقول الملائكة: سبحانك، لم يروها.

إذن فهم يلهجون بالذكر والحمد والاستغفار وترتجف قلوبهم وتدمع عيونهم وهم لم يروها، وماذا لو رأوها؟.

تقول الملائكة: سبحانك يكونون أشد طلباً لها.

فيقول الحق عز وجل: يا ملائكتي.

فيقولون: نعم يا رب.

يقول تعالى: «إني أشهدكم أني قد وهبتها لهم».

انظر عزيزي القارىء إلى عظيم عطاء الله، وانظر إلى عملك، أنت تذهب إلى المقهى قائلاً: أسلِّي صيامي، فتنال الإثم وتخسر هذه العطية التي لا يوازيها شيء، تذهب إلى السينما وتقول: كي لا أحس بمرور الوقت فتحمل خطايا فوق خطاياك وتخسر غفران ذنبك وفوزاً بالجنة.

ثم يقول الله لملائكته: ومم يتعوذون؟ أي ما الذي يخيفهم ويطلبون النجاة منه بدعائهم وذكرهم وحمدهم وتسبيحهم؟ يقول الملائكة: يتعوذون من نارك!...

يقول عز وجل: وهل رأوها؟ أي هل رأوا ما فيها من العذاب المقيم والأنكال والطعام ذي الغصَّة والماء الذي كالمهل يشوي البطون، هل رأوا سرادقها وزرقة أهلها، هل رأوا طعام أهلها من الزقوم؟ هل رأوا السعير؟

تقول الملائكة: سبحانك، لم يروها!

يقول تعالى: وماذا لو رأوها؟ أي ماذا لو رأوا الكافر وقد نادى المنادي ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: 30 - 32] وهو يصرخ ولا مغيث ويستجير ولا مجير وهل نظروا إلى أهل النار فوجدوا ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: 50].

ثم ينادي منادي أهل النار فيقول: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فنموت ونستريح، أما مالك خازن النار فـ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف - 77] ؛ نعم ماكثون في العذاب ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: 75].

تقول الملائكة: سبحانك يكونون أشد منها هرباً وأشد منها فزعاً وأشد منها خوفاً.

فيقول تعالى لملائكته: «يا ملائكتي إني أشهدكم أني قد أنجيتهم منها».

انظر إلى عظيم رحمة الله، مجلس علم وذكر واحد يحضره العبد يدعو الله ويستغفره، يحمده ويسبحه ينجو به من النار ويفوز به بجنة عرضها السموات والأرض.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى لملائكته: «ومن يعبدون؟».

فتقول الملائكة: سبحانك، يعبدونك ويحمدونك ويكبرونك لا يبغون سواك.

فيقول الله عز وجل: وهل رأوني؟

تقول الملائكة: سبحانك لا تدركك الأبصار وأنت تدرك الأبصار وأنت اللطيف الخبير.

يقول الله تعالى: وماذا لو رأوني؟ أي ماذا كانوا سيفعلون لو رأوني.

تقول الملائكة: سبحانك يكونون أشد لك تسبيحاً وأشد لك حمداً وأشد لك تكبيراً.

فيقول تعالى لملائكته: يا ملائكتي إني أشهدكم أني قد أنجيتهم من ناري ووهبتهم جنتي وسأظلهم يوم القيامة بظلي، يوم لا ظل إلا ظلي وسأمتعهم يوم القيامة بالنظر إلى نور وجهي.

هذا هو الثواب الذي تخسره عندما تتقاعس عن مجالس

الذكر، هذا هو الثواب الذي تضيعه عندما تسلِّي صيامك في مقهى تلعب الورق أو الطاولة.

هذا هو الثواب الذي تخسره عندما تمضي الوقت في مشاهدة الرقص والغناء والأفلام بحجة تمضية الوقت.

هذا هو ما تتنازل عنه للشيطان فتتبع خطاه ليقودك إلى جهنم وبئس المصير.

الاختيار:

الطريق واضح وبيِّن وأنت بالخيار.

إما أن تكون مع الذاكرين المخلصين والخاشعين؛ وإمَّا أن تكون مع التائهين الضالين العاصين المتبعين لخطوات الشيطان، إما أن تستفيد من حياتك فتستعد بها لآخرتك وتتزود بخير الأعمال فتنال رضى الرحمن الرحيم فيكون مآلك إلى جنة ونعيم، وإما أن تضيِّع حياتك فيما لا طائل تحته أو تنجرف في طريق الفساد والغي.

الحسنة تدعوك لنيل حسنة أخرى والسيئة تقود خطاك لسيئة أخرى إن لم تتب منها وتستغفر.

وسورة الفاتحة تقود خطاك، والقرآن شاهد لك أو عليك.

إن طلبت الهداية بقولك ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ وكان قلبك مخلصاً بها هداك الله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم.

وإما إن أهملتها فيقيض لك شيطان فهو لك قرين يقودك إلى صراط المغضوب عليهم والضالين.

لا يكفي أن تستعين بالله بل يجب أن تعبده لتستحق العون فقد قال تعالى في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ليعلمنا أن العون مترتب على العبادة وتالٍ لها.

وإذا قرأت الفاتحة في صلاتك الخالصة لله تعالى وختمتها بـ آمين فوافق تأمينك تأمين الملائكة غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، والموافقة ليست مسألة زمنية بل مسألة إخلاص القلب لله وإخلاص التوجه لله في الصلاة.

ولا تنس مجالس الذكر فإن لم تكن من أهلها المواظبين عليها لظروف معينة فقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي أنهم «هم القوم لا يشقى جليسهم».

اللهم اجعل قلوبنا عامرة بذكرك، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وأظلنا بظلك يوم لا ظل إلا ظلك، سبحانك اللهم وبحمدك عدد خلقك، وزنة عرشك ومداد كلماتك ورضاء نفسك وصلّ اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

obeikandi.com